مجلة المختار للعلوم الإنسانية 30 (1): 99-111، 2015

Research Article Open Access

الاستنساخ تكنولوجيا مستحدثة للإنجاب

إبراهيم حسين إبراهيم الشريف

Doi: https://doi.org/10.54172/kq72mg18

المستخلص : الإنجاب أحد أهم متطلبات الجنس البشري ويشكل النقطة لجوهرية في بناء الأسرة في كل مجتمعات العالم دون استثناء .
الأمر الذي يبعث علي طلبه شديد من قبل من حرم هذه النعمة العظيمة إلا وهي نعمة الأبوة ، ورغم التقدم التقني المتطور في حل هذه الإشكالية من تلقيح صناعي بشقية الداخلي والخارجي إلا أن النسب المرجوه كانت دون المستوي المطلوب ، بمعني نسب لا ترتقي إلي تحقيق أمال كل أم وكل أب حرم هذه النعمة الربانية.
إلا أن توجه العلماء إلي فتح أمال جديدة لكل محروم من الإنجاب باستخدام تقنية متطورة تعرف بالاستنساخ ،أعطاء أمل جديد لكل محرم أن يجدد رغبته في تحقيق هذه الرغبة كي تكتمل سعادته ،ويستشعر بقيمة حياته في هذه الدنيا الفانية .

الكلمات المفتاحية: الإنجاب - الأبوة - الاستنساخ - التقنية المتطورة

Cloning: A Modern Reproductive Technology

Abstract: Reproduction is one of the fundamental requirements of human nature and a crucial aspect of building families in all societies worldwide. Consequently, those deprived of the blessing of parenthood yearn for it intensely. Despite the advanced technological progress in addressing this issue through methods such as internal and external artificial insemination, the desired success rates have often fallen short of expectations. In other words, the achieved rates have not fulfilled the aspirations of every mother and father who have been deprived of this divine blessing.

However, scientists have pursued new avenues of hope for those unable to conceive by utilizing an advanced technique known as cloning. This offers a fresh ray of hope for every individual deprived of parenthood, rekindling their desire to fulfill this longing and experience the completeness of their happiness. They can now grasp the value of their lives within this transient world.

Keywords: Reproduction - Parenthood - Cloning - Advanced technology

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

انطلاقا منا للنظر في نصف الكوب الممتلئ ، وبأن خير العلم ما نفع وإسهاما" في جلب السعادة لكل قلب حرم نعمة الإنجاب دون المساس بالبنية الاجتماعية أوالأديان السماوية ، عمل العلماء علي إيجاد حل بديل قد لا يعتبرمن الجانب الطبي والإنساني إنتهاك لخصوصية العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة التي أحاطها الدين بالصيانة والستر ، إلا أنه محاولة لإيجاد تجارب مشروعة تجيز الإستنساخ وتوفر السعادة بخلق جنين شرعي يسعد أصحاب القلوب المحرومة من الإنجاب .

هذا العلم النافع للإنسان يجب أن ينظر إليه بثقافة وفكر مغاير تماما، علي أنه حل بديل لعلاج العقم ، وليس إهدار لقيمة الإنسان ومكانته ، وأنه مخرج أمن إذا تم التعامل معه بشكل إيجابي لخدمة البشرية .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا :

هل بأمكان الإستنساخ أن يحقق أمال المحرومين بالفعل. رغم النتائج الصحية التي أظهرتها الفحوصات التي أجريت علي النعجة دوللي ؟.

وماذا لو نجح إستنساخ الإنسان- كيف يتقبل المجتمع هذا المولود المستنسخ ؟

كثيرا" من الأسئلة ستطرح وتثير جدال في الأوساط المجتمعية بسبب ما سوف يجنيه الاستنساخ لصالح البشرية .

استنساخ الإنسان حقيقة علمية راسخة

لم يعد الاستنساخ خيال علمي كما يقال ، لكنه حقيقة واقعة بالفعل ، ففي الأيام الأخيرة من عام 2002م وبالذات يوم الخميس 26/12/2002م تناقلت وكالات الأنباء في لهاث شديد " إن أول إنسان مستنسخ قد ولد وبصحة جيدة "[1].

تلك العبارة التي دخلت فوراً تاريخ العلم بل والتاريخ الإنساني وكان على لسان الطبيبة برجيت بوسلبير المديرة العلمية لشركة كاونيد الأمريكية ، وقالت الطبيبة أن المولودة أنثى وأسمها حواء (EVE) وتزن 1و3 كجم وقد تمت ولادة الطفلة بقيصرية ناجحة يوم الخميس الساعة 11:55 صباحاً بالتوقيت المحلي لمكان لم يعلن عنه. والطفلة من أم أمريكية تبلغ من العمر 31عاماً.*

لم نحدد السبق الإعلامي في هذا الخبر ، فالطبيبة بوسلبير أعلنته على الملأ في مؤتمر صحفي ، ولكنها سبقت ذلك بتصريحات هنا وهناك على أنها تقدر بل وترغب في استنساخ إنسان ، وكانت تصرح بأنها لن تقوم بإعلان أي شئ إذا لم يولد الطفل بكامل صحته[1] .

ولكنها أعلنت ، فكانت المفاجأة

لكن على مايبدو هناك بدايات حاول فيها العلماء ، استطلاع مدى إمكانية الحصول على مستنسخ بشري من خلية غير جنسية (كخلية جلد) هو ما حدث في جامعة (كيونجى) في جنوب كوريا حيث أعلن فريق من الأطباء من الجامعة يوم 14/12/1998م أن الفريق بقيادة(د.كيم بوسنج) حصل على انقسام من تلقيح من إحدى الخلايا المحيطة بالبويضة في بويضة امرأة نفسها بعد نزع نواتها طبعا ، وقال هؤلاء الأطباء " أن الجنين نما في الأطباق الزجاجية . وبدأ عملية التفلج
(الانقسام) حتى وصل إلى طور الأربع خلايا وخشي العلماء بعد ذلك من العملية وأوقفوا النمو دون أن تزرع النواة في رحم امرأة "[2].

وفي 9/1999م نشرت إحدى المجلات الطبية المتخصصة مقالة كتبها ثلاثة باحثين من ولاية ماسوشوستس الأمريكية ذكروا فيها أنهم تمكنوا من نقل أنوية خلايا جسمية بشرية إلى بويضات منزوعة الأنوية . مأخوذة من الأبقار ، وأن الخلايا الناتجة انقسمت تباعا في مسارها الطبيعي لتكوين الجنين ، ثم توقف تفلحها كل في مرحلة مختلفة ، وقد وصل عدد الخلايا الناتجة في

---

[1] أحمد بشير العيلة ، الاستنساخ البشرى – عولمة الخلايا مجلة الثقافة العربية – مجلة ثقافة عربية وفكر إنساني متفتح العدد 248 السنة 30 االنوار-فبراير 2003م ص42-43

* هناك قصة مماثلة لصحفي امريكي يدعي رورفر تم تمذيبه ومهاجمته تفصيل القصة انظر كتاب جيناكولاتا ، المنتسخة – الطريق إلى دولى واستشراف المستقبل ، ترجمة نجيب الحصادي ،ابوالقاسم اشتيوي منشورات الإدارة العامة للمعاهد والمراكز المهنية العليا ، ط2000،1م ص 113-143

[1] المراجع ذاته ، ص43

[2] المراجع ذاته ، ص47.

الجنين الواحد إلى 400 خلية كحد أقصى ، وفي نفس العام استنسخ جنين بشري في الفلبين ونما إلى مرحلة أربع خلايا ثم أتلف بعدها لأسباب أخلاقية أيضا.[3]

وفي مقال في صحيفة العلوم العلمية ، أوضح فريق من الباحثين من شركة TAC أن نتائجها الأولية تمنح وزنا للنظرية التي تؤكد أن إعادة برمجة الخلايا البشرية أمر ممكن ، وأوضح الفريق أنه يعد أشهر من المحاولات دخلنا مختبرنا يوم 13/10/2001م لنشاهد في المجهر جنينا بشرياً يتم إنتاجه بواسطة تقنيه زرع النواة المسماة أيضا ... أستنساخاً. وتبادل العلماء الأبحاث ، وعقدت المؤتمرات بعد ذلك لإستنساخ أول كائن بشري وبدأ المغامرون بالعمل سراً خشية ملاحقة القوانين لهم ، ولم يتمكن جُلهم من الكتمان سعيا وراء شهرة وأضواء وحصول على سبق إعلامي هنا وهناك ".[4]

وقال أشهر الأطباء المغامرين ، طبيب إيطالي متخصص في علم الجنيات " سفيرنيو انتينوري" بأنه سيتمكن من الاستنساخ حتى ولو في سفينة في عرض البحر المتوسط ".

ويعتبر هذا الطبيب من أشهر علماء الجينات في العالم وصاحب الصرعات والقفزات في مجال علاج العقم ، حيث تمكن من مساعدة نساء على الإنجاب بعد سن اليأس ، كتلك الحالة التي أعلن عنها عام 1994م عن مساعدة عجوز تبلغ الثالثة والستين من العمر على الإنجاب ، ولهذا الطبيب المغامر حلم واحد يسعى لتحقيقة ، وهو أن يكون أول من يأتي لهذا العالم بطفل بشري مستنسخ ، حيث أعلن مع زميله " بانوس زافوس" في 1/2001م أنه من المفترض أن يتما الاستنساخ البشري الأول في فترة تتراوح من سنة إلى سنتين ، وبدأ نتينوري حملة إعلامية عن الاستنساخ ، ولم يُخف على الرأي العام خطواته في إنجاز هذا الموضوع ، فقد أعلن للمرئية الإيطالية في 24/4/2002م أن ثلاث حالات حمل أخذة في التطور واثنان منها في روسيا، وواحدة في دولة أخرى (قد تكون دولة إسلامية حسب وكالة الصحافة الفرنسية) ،ومن بين هذه الحالات حالة وصلت إلى الأسبوع السادس من الحمل . ومع مزيد من الشهرة الإعلامية ، وتسجيلاً دقيقاً لتوثيق الموضوع ، أعلن أنتينوري على صفحات صحيفة (لوموند) بأن حالات الحمل الثلاث التي ورد ذكرها في السابق سوف تصل إلى الاكتمال في ديسمبر 2002م أويناير 2003م وأعلن انتينوري عبر صفحات صحيفة ليبراسيون في 12/12/2002م ، أن " من بين الأزواج الذين يعانون من العقم الذكورى التام ، وافق خمسون زوجاً على المشاركة في برنامج الاستنساخ الذي أطلقاه ، وقد نجحنا في الحصول على عملية حمل واحد منها من 18 عملية نقل.وهي الآن في الأسبوع الخامس عشر من الحمل ويبدو أن الجنين بصحة جيدة ".[1] وهذه عبارة عن إنجاب إحدى السيدات جنيناً متسخا عن زوجها المصاب بالعقم الدائم بحيث يكون الطفل توما لوالده . لكن انتينوري الذي كتب تصريحاته تلك جملة وتفصيلا خلال مؤتمر صحافي دعاله ،وذلك على ما يبدو تفادياً للعقوبة القانونية .

التي تتوعده في إيطاليا ، حيث أصدرت في 19/6/2002م قانوناً يمنع الاستنساخ البشري ويحكم على المتورطين في الموضوع بالسجن من عشر إلى عشرين سنة ، ودفع غرامة مالية تصل

---

[3] المراجع ذاته ، ص47

[4] المراجع ذاته ، ص47

[1] المراجع ذاته ، ص47-48

إلى مليون يورو إضافة إلى الحرمان من ممارسة مهنة الطب طوال الحياة ، وعرف الناس أنه حرباء تتلون حسب الظروف.[2]

ويبدو أن كثيراً من العلماء رودهم حب المغامرة وتسلق أعلى القمم ، وفجأة كان الإعلان عن أول مولود بشري مستنسخ مدويا من ركن آخر من الأرض ، فاستدرات رقبة العالم بزاوية واسعة وسقطت أنظارهم على امرأة في النصف الثاني من العقد الرابع من العمر (46) عاما ذات شعر أشقر طويل ونجمة سداسية متوسطة الحجم على صدرها ، وهي تعقد مؤتمراً صحافياً إنها الطبيبة (برجيت بواسولييه) صاحبة شركة (كلونيد) التي دارت على شمعتها حتى قادت بمولودة أنثي يوم 26/12/2002م أسمتها حواء (EVE) أول البشر المستنسخين ، وسقطت أحلام طبيب الجدات بعد أن سحبت كلونيد البساط من تحته ، في الحصول على نصر واسع في معركة السبق في الإعلان عن أول كائن بشري مُستنسخ ، ذلك الذي تم بالفعل إعلانه على لسان بواسولية في فلوريدا ليكون هذا الحدث بمثابة المفصل في تاريخ البشر العلمي والاجتماعي.[1]

وتلاحقت تصريحات بواسولييه ، وأعلنت خلال بضعة أيام أن ثاني طفلة مستنسخة ولدت في هولندا من أم سُحاقية دون وجود أب- وتخرج بواسولييه بتصريح جديد لتقول بأن عدد المستنسخين المولودين سيصل إلى خمسة مع بداية شهر فبراير المقبل ".[2]

زيادة على ذلك صرح جلين ماكجى، وهو باحث أكاديمي أن شركة كلونيدا أعلنت لديها قائمة تشمل 2000 شخص على استعداد أن يدفع الواحد منهم 200 ألف دولار لاستنساخ أنفسهم . هنا نقف قليلاً ، لنطرق الموضوع من زاوية أخرى كيف لنا أن نستثمر مشروع الإستنساخ بطرق إيجابية نخدم بها مجتمعنا العربي الإسلامي دون الوقوع في شبه عقائدية ، ودون المساس ببنائنا ونسيجنا الاجتماعي . مع مراجعة ذواتنا الأخلاقية ، ومراقبة نظم سلوكياتنا فنحن نحاول رغم وجود قيم معاصرة قد تبدولنا أخلاقية ، أن نبذل الجهود العديد لأخلقة الحضارة المادية والاستفادة منها لنصل بالبشرية للعقلانية والخير.

فلقد انتشر مجال الإنجاب بالمساعدة في جميع أنحاء المعمورة وأصبحت تستخدم تكنولوجيات الإنجاب بالمساعدة على نطاق واسع وتتضمن أنواعاً شتى من المواقف الوالدية والبيولوجية ،، أي علاقات الواهبين والمتلقين ، ونجد في معظم الحالات زوجين غير خصبين يلتمسان العلاج إما من خلال الأمناء الصناعي أو التلقيح في الأنابيب باستعمال حيوان منوي من الرجل أو من واهب غير معروف ، وبويضة من المرآة أو إحدى الواهبات ، وأحيانا يكون هناك أم بديلة . ويمكننا أن نتصور أنه في تلك الحالات التي يكون فيها كلا الزوجين غير خصبين أو عندما يكون للأب المتوقع حيوانات منوية لا تقوم بوظيفتها ، يمكننا تصور استخدام استنساخ نوى أحد الزوجين لإنتاج طفل"[3].

وبدأت التساؤلات ، لماذا لا يجوز أن تتلقح البويضة بنواة ليست من نواة منى ، الأيكون هذا معقولا وخاصة أن الحسابات الو راثية لعداد الصبغيات تجيز ذلك، فأنوية خلايا الجسم البشري

---

[2] المراجع ذاته ، ص48

[1] المرجع ذاته ، ص 84.

[2] المرجع ذاته ، ص 40

[3] مارتاس ، نسبوم ،كاس ر.سانشتين ، استنساخ الإنسان- الحقائق والأوهام ، ترجمة ، مصطفي إبراهيم قهمي لناشر – دار العين للنشر – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، 2003م ، ص41.

الكاملة ذات (64 صبغيا) ، فإذا انتزعنا نواة البويضة ذات نصف العدد(32 صبغيا)،وزرعنا خلية كاملة ذات 64 صبغيا فسيكون عدد الصبغيات داخل البويضة كاملاً وعندها... ربما يحدث الانقسام .. وحدث !!.

في بدايات التسعينات تمكن العلماء من فعل شئ كهذا وظهر فرع من العلم يسمى الاستنساخ حيث تؤخذ خلية من مكان معين في الجسم مثل الجلد ، وزرعت في البويضة بدلاً من نواتها ، وانقسمت [1].

واندلع الحوار بين المؤسسات العلمية بفروعها المختلفة عن إمكانية تطبيق هذا الشيء على الإنسان فكانت الإجابة ببساطة ، نعم يمكن ذلك .

ونحن هنا كأصحاب فكر وثقافة وقيم نحاول ألتماس سبيل التقدم والرقي وملاحقة العصر بمزيد من المعرفة الإنسانية ،والاستنساخ فكر آت إلينا من المجتمع الغربي ، فكر الآخر فينبغي علينا أن نعرفه وندقق في معرفة تفاصيله بكل ما فيها من مزايا وعيوب ، مهما كان في هذا الفكر مما يصدمنا بغرابته وشذوذه عن فكرنا وتقاليدنا ، فهذه المعرفة بفكر الأخر ، هي التي ستمكننا من مواجهة أضراره والتصدي له فكراً وإبداعاً وإنتاجاً لتكون نحن المسيطرين على حياتنا بمنهج أساسه الفعل والتفعيل وليس رد الفعل.

يجب أن نصل إلى قناعه تامة بأن الأستنساخ أصبح حقيقة علمية راسخة يجب التعامل معها بدلاً من أن تكون متفرجين على العلم وقلما نتيجة .

ووجبنا كمتعلمون الآن توسيع نطاق مناقشة الموضوع يشمل عموم الجمهور مع العمل علي تنوير هذا الجمهور بالثقافة العلمية اللأزمة للمشاركة في النقاش واتخاذ القرار.

الحق الأخلاقي المؤيد لاستنساخ البشر

استنساخ البشر هو وسيلة للإنجاب (بأقصى المعاني الحرفية) وبالتالي فإن أكثر حق أخلاقي معقول يتعرض للخطر عند استعمال الإستنساخ هو الحق في حرية الإنجاب أو حرية الإنسال (روبرتسون ،1994 أ، بروك1994)[2]

والفهم الصحيح لحق حرية الإنجاب يتضمن أن نفهم أن هذا الحق يتضمن حق استخدام التكنولوجيات المختلفة للمساعدة على الإنجاب ، مثل التلقيح في الأنابيب ، والتبرع بالبييضة oocyte. وحق الإنجاب فيما يتعلق باستنساخ البشر هو حق سلبي ، بمعني أنه حق لاستخدام إحدى وسائل استخدام التكنولوجيات المختلفة للمساعدة على الإنجاب بدون تدخل من الحكومة أو من الأخرين عندما يصبح الأمر متاحاً بواسطة ممول له رغبة في ذلك وينبغي أن يكون اختيار وسيلة مساعدة للإنجاب أمراً تحميه حرية الإنجاب حتى وإن لم تكن هذه الوسيلة هي وحدها المتاحة للأفراد حتى ينجبوا ، ويماثل ذلك تماماً أن اختيار إحدى الوسائل المختلفة لمنع الحمل يكون محمياً بحرية الإنجاب ، وعلى أي حال فإن قضية السماح باستخدام وسيلة معينة للإنجاب تكون في أقوى حال لها عندما يكون الأمر ضرورياً لأفراد معينين حتى يتمكنوا من الإنجاب أصلاً ، أو حتى يفعلوا

---

[1] المرجع ذاته ، ص 44.

[2] Robetson,J.A(1994 a).Children of Choice: Freedom and the New Repro. Ductive Technologies. Princeton,NJ,Princeton University Press.Pp.400-402.

ذلك بدون أن يلحقوا بأنفسهم أو بالآخرين أضراراً أو ضغوطاً عظيمة . وسنجد أن استنساخ البشر قد يكون في بعض الحالات هو الوسيلة الوحيدة للإنسال عند بعض الأفراد مع الإبقاء على رابطة بيولوجية مع طفلهم .[1]

ومن الممكن أن يُحاج بأن حق حرية الإنجاب لا يغطي استنساخ البشر ، ذلك لأنه في حين أن وسائل وممارسات استخدام التكنولوجيات المختلفة للمساعدة على الإنجاب الحالية التي يغطيها هذا الحق هي وسائل علاج للعجز عن الإنجاب جنسياً ، فإن استنساخ البشر وسيلة جديدة تماماً لإنجاب؛الاستنساخ البشري وسيلة إنجاب تختلف عن الإنجاب الجنسي ، ولكنها وسيلة تستطيع أن تخدم انشغال الأفراد بالإنجاب . وفي اعتقادي يجب حماية الاستنساخ بالحق الأخلاقي في حرية الإنجاب بشرط عدم إلحاق الضرر بأنفسنا والآخرين إذا اخترنا ذلك .[2]

لهذا من الممكن أن ننظر إلى هذا الحق على أنه يرسي دعوى أخلاقية قوية تدعم إتاحة الاستنساخ البشري .

فوائد الاستنساخ البشرى

يحوي الاستنساخ البشري فوائد تزود الأفراد بأسباب قوية لاستعماله.

1- استنساخ البشر قد يكون وسيلة جديدة لعلاج حالات عدم الخصوبة التي يعاني منها بعض الإفراد الآن .فاستنساخ البشر سيتيح للنساء اللاتي بلا بويضات والرجال الذين بلاحيوانات منوية أن ينجبوا ذرية لها علاقة بيولوجية بهم (أيزنبرج،1976 ،روبرتسون،1994ب 1997،لابار 1984) ،والمضغات يمكن استنساخها ايضاً ، إما بالنقل النووي أو يشطر المضغة ، وذلك لزيادة عدد المضغ للغرس وتحسين فرص نجاح الحمل (نابر199 4)*وفوائد الاستنساخ البشري لعلاج عدم الخصوبة تكون فوائد أعظم كلما زاد عدد الأفراد الذين لا يستطيعون التغلب على عدم خصوبتهم باستخدام أي وسيلة أخرى مقبولة لديهم [3].

2- سيمكن استنساخ البشر الأزواج ، الذي يكون أحدهما مصدر خطر لنقل مرض وراثي خطير لواحد من ذريتهم ، من أن ينجبوا بدون التعرض لهذا الخطر (روبرتسون ،1994 ب) [4].

وعموماً يمكن الآن تجنب هذه المخاطر الوراثية باستخدام مني من واهب أو بويضة موهوبة ، وذلك بدون استخدام استنساخ البشر. على أن هذه الوسائل قد تكون غير مقبولة عند بعض الأزواج ، أو أنها على الأقل مما تكون الرغبة فيه أقل من الرغبة في الاستنساخ البشري ،

---

(1) Ibib P.402.

(2) Ibid P.403

* نابر – رمز الكلمات الإنجليزية : اللجنة القومية الاستشارية الأخلاقيات الإنجاب

(3) Robertson,J.A (1994b)" The Question of Human Cloning "Hastinbs Centet Repoh 24:6-14 .P.235.

(4) Ibid P.236

لأنها تدخل جينات طرف الثالث فيما ينجبون بدلاً من أن تعطي لذريتهم فحسب جينات واحد منهم . وبالتالي فإن استنساخ البشر يمكن في بعض الحالات أن يكون وسيلة معقولة لتوقي انتقال الأضرار الوراثية للذرية ، على أننا هنا أيضا لا نعرف عدد الأفراد اللذين يرغبون في استعمال الاستنساخ البشري بدلاً من الوسائل الأخرى لتفادي خطر الانتقال الوراثي لأحد الأمراض أو لتقبل خطر انتقال المرض ، على أن الأعداد مرة أخرى يحتمل الأ تكون كبيرة .

3- الاستنساخ البشري لصنع توأم لاحق سيمكن أحد الأفراد من الحصول على أعضاء أو أنسجة مطلوبة لزرعها (روبرتسون 1994 ب ، 1997 ؛ كاهن 1989 ؛ هاريس 1992). فالاستنساخ البشري سيحل مشكلة العثور على واهب للعضو المزروع يكون ماليه من عضو أو نسيج في حالة توافق مقبولة بحيث تزول معها أو يقل إلى حد هائل خطر رفض العضو المزروع من عائلة الجديد . وإتاحة الاستنساخ البشري لهذا الغرض سيصل به ، على أن يكون نوعاً من التأمين يمكن من معالجة أنواع معينة من الحالات الطبية .[1]

<u>اتخاذ القرارات في القضايا العلمية المستجدة</u>

يتطلب من علمائنا جميعا التروي قبل إصدار الأحكام ، أو القول بحتمية التصادم بين مقولة علمية والعقيدة الإسلامية مما ينعكس على صورة الإسلام والمسلمين في ميادين العلم والعقل والحكمة .

فليتشاور علماء العقيدة والفقه مع علماء الطب والأحياء وغيرهم للخروج بتصورات واسعة الأفق للمستجدات العلمية والتقنية قبل النطق بكلمة واحدة ، تأييدا أو اعتراضا ، بدلاً من أن نسمع- نحن المسلمين – بتصريح من هنا وآخر من هناك ، من علماء مر موقين وجهات إسلامية ذات وزن، وهي لا تختلف فقط ، بل قد تتناقض هذه في الواقع أحد مآخذ الغربيين على المفكرين المسلمين ، كما حدث للمنظرين للاقتصاد الإسلامي ، والهيئات الشرعية المشرفة على بعض البنوك الإسلامية ، فقد اتهم الغربيين (مثل وزير المالية البريطاني) العلماء المسلمين بأنهم غير متفقين فيما بينهم على صيغ معينة حتى يستطيع الغرب أن يتعامل
معها ، فيما يراه فريق جائزاً قد يراه آخرون حراماً ... وهكذا .[2]

ومن هنا نرى وجون التعامل مع هذه المستجدات العلمية برؤية وعقلانية ، وبعد التشاور المكثف ، بين أهل العلم وأهل الفكر والنظر ، لأن وضع خطوط حمر اليوم قد تخلى عنها غداً لن يؤدى في هذا العصر المادي إلا إلى إضعاف ثقة الأجيال القادمة في الفكر الأمس بل أن أكبر ضرر نلحقة بالفكر الإسلامي هو أن نقول اليوم أن هذا أمر يتناقض مع العقيدة ، وأمر يختص بالخالق عز وجل ، ثم نأتي غداً ونستسلم ونتقبلة حيث لا يمكننا إنكاره.

---

(1) Idio Pp 236-237.

(2) وجدي عبدالفتاح سواحل / موسوعة الهندسة الوراثية (الجزء الخامس) : قضايا وآراء إسلامية، مراجعة وتقديم حمدى عبدالعزيز موسي دار النشر أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ، 2000 ، ط1 ، ص 58 .

وهذا ما نؤكده حين تخرج علينا أنباء الاكتشافات التي تقول باستنساخ البشر ، فليس من مصلحتنا – كمسلمين – أن نعترض مباشرة ، ونفند صحتها دون تّثبت ، بل يجب علينا أن نترك الأمر للمختصين في علم الأحياء من المسلمين الثقات ليبحثوا فيه في مصادره العلمية الموثقة فإذا ظهر أنه اكتشاف ضار بالإنسان ، فإن هؤلاء الأخصائيين في الطب والأحياء والبيولوجيا هم الذي يجب أن يردوا المتخصصة نفسها وردهم عليه أفضل لأنهم متخصصون ويمكن أن يكون لردهم صدى أفضل بين الناس الذين سحرتهم المادة لأنهم علماء في الماديات أساساً.

ولكن ماذا لوثبت لعلماء الطب والأحياء ، المسلمين المؤمنين الموثقين أن هناك مقداراً من الخير والنفع في هذا الاكتشاف ؟ عندئذ يجب عليهم الاجتماع بعلماء الفقه والعقيدة ، وشرح الأمر لهم وبيان كيفية حدوثه ، وعندئذ يجمع هؤلاء وأولئك على موقف موحد لطرحه أمام الأمة الإسلامية وأمام غير المسلمين ، سواء بتأييد الأمر أو استنكاره أو تحريمه أو غير ذلك. ولكننا نقول قي هذا الصدد، ومن باب إلقاء بعض الضوء العلمي عليه ، عن الأمر ليس دائما كما يتصور غير المختصين بهذه العلوم، وخاصة حين يتصورون – مباشرة – أن الأمر يصطدم مع العقيدة، وقد يبادرون إلى رفضه وتفنيده اعتمادا على ظاهر الأمر ، وهو ليس كذلك .

هكذا إذن ، إن علينا الايضعف إيماننا بهذه السهولة فنعتقد أن كل شاردة وواردة في الأخبار العالمية يمكن أن تؤثر في عقيدتنا ، فهذا في حد ذاته ضعف ، ولكننا نزيد الطين بله لأننا لا نقوم بما يستوجب علينا فعله إزاء ذلك ، من الاستعانة والتشاور مع المختصين بالماديات (من الأطباء والكيميائيين والبيولوجيين) المسلمين الثقات ، والخروج بتصورات واسعة الأفق ، تليق بسعة الإسلام وشموله الذي نردد دائما لأنه صالح لكل زمان ومكان .. وما لم نفعل ذلك فإننا حينئذ سنعتزل عن الإسلام ، لأنه صالح لكل الظروف ، بينما نحن لا نصلح لهذه الظروف العجيبة المستجدة والمتسارعة إن علينا – نحن المسلمين – أن ننظر إلى الأمور من منظار شامل. وندرك أن كثيراً مما نراه متصادماً مع قيمنا ومعتقداتنا ربما لا يكون مصطدماً فعلا بنصوص شرعية بقدر ما يكون مصطدما بتفسيرنا لها أن معرفة جنس الجنين – مثلاً- قد يصطدم بتفسيرنا نحن للآية الكريمة :" ويعلم مافي الأرحام "(سورة لقمان آية 34) ، ولكنه لا يصطدم بالنص الصريح للآية ، بل إنه مصداقا لقوله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم " (سورة فصلت : آية 53) ، ومن ثم فهو علامة إعجاز للقرآن الكريم أكثر من كونه تحدياً وتعدياً على العقيدة أو علم الغيب .[1]

إن العلماء في الغرب (بل في تايوان وما جاورها) دخلوا ميادين التقنيات الحيوية ، ولازالوا يقومون بأبحاث سرية في هذه المجالات ونحن إذا لم نشارك بأبحاثنا في هذه المجالات ، فلا اقل من أن نتورع عن الزج باسم الإسلام ضد كل مرحلة من مراحل تطور هذه العلوم ، وبخاصة حين نتحدث عن علوم لا نفهم الكثير من تفاصيلها.[1]

إن علينا مسؤولية جسيمة توجب علينا توخي الحذر في تفسير النصوص الشرعية من القرآن والسنة والحكم على العلوم الجديدة ، وأن نتشاور كثيراً مع المختصين الثقات في المجالات المختلفة

---

[1] المرجع ذاته لا، ص ص64.

[1] المرجع ذاته لا، ص ص64.

والعلوم المتشعبة ، بل لأبأس من الاستعانة بهم في التعامل مع بعض المعضلات الشرعية المتعلقة بمشكلات القرن الحادي والعشرين ،إن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان ، فيجب علينا – نحن المسلمين – أن نصلح أنفسنا للقرون القادمة والمستقبل المجهول .

شكوك علمية باقية

أن توظيف الحقائق العلمية في دعم أية رؤى يتطلب ضربا بعينه من الاستعداد الذهني والحيادية المنهجية ، نعنى بهذا القول أن ثمة تفسيرا علميا لشيخوخة دولي المبكرة ، وأن بعض العلماء ، قد تنبأ بها ، في حين علق بعض آخر منهم الحكم في مصداقية أحد الفروض البيولوجية إلى أن يتضح ما إذا كانت دولي سوف تعاني من مثل هذا الخلل الجيني .[2]تتعلق هذه المخاوف بسؤال استثير بمجرد أن علم الناس بولادة دولي : كم عمرها ؟ هل يقاس عمرها بعدد ما تعيشه من سنين أم أن عمرها هو ذات عمر النعجة التي اتسخت من خلاياها ؟ بكلمات أخرى ، هل يشيخ الدنا .. أم أن الساعة البيولوجية يعاد توقيتها حين يتم انتساخ الخلية ؟ القائلون بأن دولي قد شاخت وراثيا وإنه ولادة شأخة .

يستشهدون بتقدم سن الدنا (DNA) والسرطان في أطراف الصبغيات ثمة سلاسل متكررة من الدنا ... تشبه أشرطة التلغراف ، فهي تتقلص في كل حالة انقسام تطراً على الخلية ، يفترض أن تكون أطول ما تكون عند الأجنة ، ثم تقصر بشكل مطرد بتقدم عمر الإنسان . حين تتلاشى هذه الأطراف الأقسومية كلية ، تموت الخلية ويموت صاحبها ، في المقابل ، للخلايا السرطانية أطراف أقسومية يبلغ طولها طول خلايا الوليد ، الأمر الذي يمكنها من الخلود والانقسام الأبدي ، يقرر فرض الأطراف الأقسومية أنه إذا استطاع العلماء مضاعفة أطوالها عند الشيوخ ، قد يكون بمقدرهم استعادة شبابهم ، وإذا استطاعوا تقصير الأطراف الأقسومية للخلايا السرطانية ، قد يتمكنون من علاج أمراضها ، إذا صح هذا الفرض ، لن يطول العيش بدولي ، ذلك أنها انتسخت من نعجة بلغت من الكبر عتيا ... بخصوص السؤال ما إذا كانت دولي قد بلغت حين ولادتها ست سنين ، لا أحد يعرف إذا قدرلها العيش إلى أن تصل ما يقرب من ست سنوات وهي الفترة التي تشكل دورة حياة النعاج العادية ، سوف يتضح أنه قد تم تصغير دناها بالفعل . وكما يقول ويلمت ، ربما بتعين علينا أن ننتظر لنرى مأسوف يحدث .[3]

إذن هنا تكتمل رؤية العلماء في طبيعة معرفتهم العلمية بأن كثافة معلوماتنا العلمية شرط ضروري لكنه غير كاف لتشكيل رؤية متكاملة في الانتساخ.

إذن كما أسلفنا الذكر يجب أن تكون الرؤية شمولية تحتمل آراء جميع العلماء والمتخصصين في ذلك الشأن حتى تكتمل الصورة ، ويجب أن نعلم ونعمل على أساس أن لكل شيء حد حتى المعرفة ، فهي ليست مطلقة بالنسبة لنا بن البشر.

---

[2] جينا لولاتا ، المتسخة – الطريق إلى دولى واستشراف المستقبل ، ترجمة نجيب الحصادي أبوالقاسم اشتيوي ، منشورات الإدارة العامة للمعاهد والمراكز المهنية العلية ، 1 ،2000 م ، ص 13.

[3] المرجع ذاته ، ص 14.

الخاتمة

الرواء تختلف ، والعقول تتباين ، ولكل عملة وجهين فالإنسان في هذه الألفية الثانية يحاول إعادة ترتيب مورثاته ، والتلاعب بتراكيبها ، في ظل عصر العلم ، ولكن ما يثير قرحتى ماذا لو لم نستطيع الإمساك بزمام الأمور ، ولم نقدر على ترتيب البيت كما كان ؟!.

ثمة رؤية أخلاقية و دينية تحجم العلماء في الخوض والاستمرار في مشروع الاستنساخ ، لكن الجدير بالذكر أن تلك العقول تجهل تماما أن العلماء ليس بمقدورهم تغيير مسار العلم وتقنياته المتجددة لأنه محكوم بشروط ليست طوع سطوتهم ؛ لكنهم رغم ذلك بأمكانهم تشكيل روية فيما يحدث بصرف النظر عن فعاليته . وهذا لا يقلل من واجبهم في اتخاذ قرارات عن حقهم في الجهر بالتأييد أو المعارضة أو دون ذلك .

لكن الخوف كل الخوف من أناس يتخذون قرارات في قضايا علمية وبناء رؤية وتشكيلها دون التعرف على تفاصيلها العلمية ، وفق رؤية تشكلت علي هكذا نحو ، مدعاة لترسيخ أوهام وإصدار أحكام تلحق الأذى بالمجتمع والإنسانية .

الفهرس :

1- أحمد بشير العيلة ، الاستنساخ البشري – عولمة الخلايا مجلة الثقافة العربية – مجلة ثقافة عربية وفكر إنساني متفتح العدد 248 السنة 30 – النوار / فبراير 2003 م ، ص 42-43.

2- المرجع ذاته ، ص43.

3- المرجع ذاته ، ص 47.

4- المرجع ذاته ، ص 47.

5- المرجع ذاته ، ص 47.

6- أحمد بشير العيلة ، الاستنساخ البشري – عولمة الخلايا مجلة الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص 47-48.

7- المرجع ذاته ، ص 48.

8- المرجع ذاته ، ص 48.

9- المرجع ذاته ، ص49.

10-مارتاس . نسبوم ، كاس ر. سانشتين ، استنساخ الإنسان – الحقائق والأوهام ، ترجمة : مصطف إبراهيم فهي ، الناشر – دار العين للنشر – مطابع الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة ، 2003 م ، ص 41.

11- المرجع ذاته ، ص 44.

12- Rohertson,J.A.(1994a) Children of Choice:Freedom. And The New Repro. Ductive Technologies.Princeton,NJ,Princeton University Press .Pp. 402

13-Ibid.P.402

14-.Ibid,P.403

15- Robertson,J.A(1994b) 'The Question of Human Cloning ."Hastinbs .Center Report 24:6-14.P.235

16-<Ibid. P 236

17-.Ibid,P.237

18- وجدي عبد الفتاح سواحل ، موسوعة الهندسة الوراثية (الجزء الخامس) الهندسة الوراثية : قضايا وآراء إسلامية ،مراجعة وتقديم حمدي عبد العزيز موسي دار النشر أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ، 2000، ط1 ، ص 58 .

19- المرجع ذاته ، ص 59.

20- المرجع ذاته ، ص 64.

21- المرجع ذاته ، ص 64.

22-جيناكولاتا ، المنتسخة – الطريق إلى دولي واستشراف المستقبل ، ترجمة : نجيب الحصادي – أبوالقاسم اشتيوي ، منشورات الإدارة العامة للمعاهد والمراكز المهنية العليا ، ط 1 ، 2000م ، ص 13 .

23-المرجع ذاته ، ص 14.

للمزيد من الاستفادة من هذه الموضوع راجع الكتب التالية :

1- محمد أحمد غانم ، الاستنساخ ، دار النشر المكتب الجامعي الحديث 2009، ط1

2- عبد الهادي مصباح ، الاستنساخ بين العلم والدين ، الدار المصرية اللبنانية ط1 ، مصر 1997م.

3- كارم السيد غنيم ، الاستنساخ بين تجريب العلماء ، وتشريع السماء ، دار الفكر العربي مصر ، ط1 ،1998م.

4- محمد محمد كذلك ، ثورة الهندسة الوراثية والاستنساخ ، دار الأمل للنشر والتوزيع مصر ، 2000م ، ط1.

5- منير علي الجنزوري ، الاستنساخ القصة كاملة ، مجلة أمرا سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن دار المعارف ، رئيس تحرير رجب البنا – العدد 629 ، القاهرة .